

قراءة في نظرية الهرمنيوطيقا عند هيدجر

أ. بومدين حورية ، أ. د محمد أسلوغة

جامعة باجي مختار- عنابة

تاريخ النشر: 2019/09/29	تاريخ القبول: 2019/07/31	تاريخ الإرسال: 2019 / 02 / 20
ملخص:		
<p>تعدُّ الهرمنيوطيقا إحدى أهم النظريات النقدية الغربية، التي فرضت آلياتها الإجرائية لفهم النص، وذلك بفضل جهود رواد المنهج الهرمنيوطيقي، الأمر الذي أتاح للهرمنيوطيقا الانتشار عبر مختلف العصور، فأصبح الطرح الهرمنيوطيقي، بمثابة عملية تأويلية في فهم النص بامتياز، وبذلك فإن هذا البحث يهدف إلى، الكشف عن إسهامات رائد من رواد الهرمنيوطيقا، وهو الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر، الذي اختار لكلمة الدزاين اسم هرمنيوطيقا، للتعبير عن الوجود الإنساني، فكذلك الحال بالنسبة للنص في مجال الأدب، فانبثقت عن فلسفته التأويلية، كبنونة النص ووجوده المستقل بذاته لتجعل منه موضوع تأويل دائم ومستمر.</p>		
الكلمات المفتاحية: الهرمنيوطيقا؛ فلسفة تأويلية؛ الوجود الإنساني؛ الفهم؛ النص.		
Résumé :		
<p>Hermenyutiqa est l'une des plus importantes théories monétaires occidentales, qui a imposé ses mécanismes de compréhension procédurale du texte, grâce aux pionniers des efforts de Hermenyutiqi des programmes, ce qui a permis la diffusion Hermnaoutiqa à travers les âges différents, est devenu la soustraction Hermenyutiqi, comme un processus d'interprétation dans la compréhension du texte par excellence. Ainsi, cette recherche a pour but de révéler les contributions de pionnier Hermenyutiqa, un Allemand Martin Heidegger, qui a choisi de frapper le nom Aldsaan Hermnaoutiqa du philosophe, d'exprimer l'existence humaine, tel est le cas du texte dans le domaine de la littérature, Vanbthagt sur sa philosophie exégétique, étant le texte et de l'existence indépendante Afin d'en faire un sujet d'interprétation constante et continue</p>		
Mots-clés: Herméneutique, Philosophie d'interprétation, Présence humaine, Compréhension, Texte.		

المنهج الهرمنيوطيقي، هو أحد التيارات النقدية الغربية، والذي يهتم بفهم وتأويل النصوص، للكشف عن المعنى المضمّر، وتُصنّف الهرمنيوطيقا إلى مستويين هما المستوى الديني، والمستوى الفلسفي، وما يهمنّا في هذا البحث هو الهرمنيوطيقا الفلسفية، وقد شهدت الهرمنيوطيقا تحولات عدّة، على يد أعلامها، فتعدّدت النظريات وتداخلت، وأثرت في بعضها البعض.

ويعكس هذا البحث الإسهام الثوري لهيدجر في مجال الهرمنيوطيقا، حيث قدّم نقدا للهرمنيوطيقا في أسلوبها القديم، وأفاد من أفكار أستاذه إدموند هسرل في الفينومينولوجيا في بناء مشروعه الهرمنيوطيقي، فتقدّم هيدجر بالهرمنيوطيقا خطوة كبرى إلى الأمام، بجعل الهرمنيوطيقا موصولة بالوجود والزمان والفهم، وباعتبار أنّ الفهم مسألة إبستمولوجية وأنطولوجية، والهرمنيوطيقا بوصفها نسقا للتأويل، فقد استفاد الأدب من آلياتها في تفسير وتأويل النصوص، فالهرمنيوطيقا هي كذلك عملية فكّ الرموز التي يتضمنها المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي، فبالقراءة المعمقة للنص ينكشف المعنى الحقيقي الكامن تحت المحتوى الظاهر.

ويرتكز هذا البحث على رصد مفهوم الهرمنيوطيقا، والأبعاد التي تأسست عليها نظرية الهرمنيوطيقا عند هيدجر. وكذا اهتمام المقاربة الهرمنيوطيقية بالنص الأدبي.

- تعريف الهرمنيوطيقا:

لغة:

إنّ مصطلح هرمنيوطيقا، لا يمكن أن يتم دراسته في الموروث الغربي من دون الالتفات إلى أصله الإغريقي،

حيث تنحدر كلمة هرمنيوطيقا «من الفعل اليوناني Hermeneuein ويعني "يفسر"، والاسم Hermeneia ويعني "تفسير"»⁽¹⁾، ويعود أصل كلمة هرمنيوطيقا إلى الأساطير الإغريقية، حيث ترتبط «لغويا بالإله "هرمس" Hermes رسول آلهة الألب، الذي كان يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثم يترجم مقاصدهم وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر، وكان عليه أن يفعل ذلك ليعبر البون الفاصل بين تفكير الآلهة والبشر»⁽²⁾، وقد جاء ذكر ذلك في كل من الإلياذة والأوديسا، وبما أنّ وظيفة هرمس هي ترجمة مقاصد الآلهة ونقلها إلى البشر، فإنّ الكلمة الأقرب إلى الهرمنيوطيقا في هذه الحالة هي الترجمة، وهي واحدة من أسس نظرية هيدجر في التأويل.

¹ - عادل مصطفي: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

ط1، 2007م، ص 27.

² - المرجع نفسه، ص 28.

³ - المرجع نفسه، ص 32.

اصطلاحا:

كما جاء في التعريف اللغوي أنّ أصل كلمة الهرمنيوطيقا مرتبط بالإله هرمس، وانطلاقا من وظيفة هرمس، « المراسل فيما بين الآلهة والبشر، وأنّ الأصل اليوناني للفظة هرمنيوطيقا يوحي بعملية الإفهام، وبخاصة حين تشتمل هذه العملية على اللغة، فاللغة هي الوسيط الأساسي في هذه العملية بلا ريب»⁽³⁾، فإنّ معنى الهرمنيوطيقا اصطلاحا حسب بول ريكور هو « تأمل حول عمليات الفهم الممارسة في تأويل النصوص»⁽⁴⁾.

وبذلك تُعتبر الهرمنيوطيقا نظرية التأويل «هي المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم، وبخاصة فيما يتعلق بتأويل النصوص»⁽¹⁾، فالمعنى الإصطلاحي المتفق عليه عالميا تقريبا للهرمنيوطيقا هو نظرية تفسير وتأويل النص. وبما أنّ الجذور لكلمة هرمنيوطيقا يعود إلى الأصل اليوناني، فإنّ « السياق الذي ظهرت فيه الهرمنيوطيقا اليونانية، كان الحاجة الثقافية لتحديد معنى ودور وظيفة النصوص الأدبية في المجتمع الإغريقي القديم، وخاصة ملاحم هومر»⁽²⁾، فالنقد المتصل بهومر هو مهد النظرية الأدبية الهرمنيوطيقية، « وظهر النقد المتصل بهومر استجابة للحاجة إلى تفسير أعماله في مجتمع اتفق على اعتبار الإلياذة والأوديسة نصوصا أساسية في تثقيف الشبان وإرشاد الناضجين، وكذلك لدورها التعليمي في الحياة العامة والخاصة في الثقافة الإغريقية الكلاسيكية، فإنّ تفسيرها كان موضع اهتمام لدى العامة»⁽³⁾، وبما أنّنا نتحدث عن الهرمنيوطيقا بكونها فلسفية، فإنّها ارتبطت بعد تفسير النصوص الإغريقية القديمة، فإنّها ارتبطت في بدايتها « بتفسير وتأويل النصوص الدينية الإنجيل، فالهرمنيوطيقا هي نظرية عمليات الفهم في تأويل وتفسير النصوص»⁽⁴⁾، وعليه فالهرمنيوطيقا هي فن للتأويل والفهم.

- مراحل الهرمنيوطيقا الغربية:

لقد مرّت الهرمنيوطيقا الغربية بثلاث مراحل كبرى في تطورها:

1- "تأثير الفلسفة الكلاسيكية الإغريقية والنظرية الأدبية الإغريقية.

2- انبعاث النظريات المسيحية واليهودية في تفسير الكتاب المقدس.

⁴- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428هـ/2007م، ص19.

¹- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص12.

²- ويرنر جينروند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد: 59-60، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 1435 هـ/2014 م، ص66.

³- المرجع نفسه، ص66.

⁴- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص19.

3- تأثير عصر التنوير الذي أدى إلى توسيع دائرة التفكير الهرمنيوطيقية إلى أبعد من السياقات الدينية الرئيسية التي حتى الآن كانت موضوعها الأساسي⁽¹⁾.

- الهرمنيوطيقا الفلسفية عند هيدجر:

لقد انصبَّ اهتمام الهرمنيوطيقا الفلسفية عند هيدجر، بفلسفة الوجود الإنساني في العالم، ثم تحويل آليات المنهج الهرمنيوطيقي لهيدجر إلى تأويل النص الأدبي وفهمه، « ولكي يفهم Understand المرء ينبغي أن يفهم سلفا Fore- Understand، أن يكون لديه مواقف استباق سياقية، هذا ما يُعرف بـ " دائرة الهرمنيوطيقا "، وبحسب النظرية التأويلية الفينومينولوجية، فإنّ دائرة الهرمنيوطيقا ليست مغلقة بل مفتوحة، وذلك بفضل الطبيعة الرمزية والتأملية الذاتية لوجودنا⁽²⁾، ويفسر جادامير منهج أستاذه هيدجر ومسألة المعرفة المسبقة في مواجهتنا مع التّصوص، فيقول: « بأننا لا يمكن أن نقرأ النص إلاّ بتوقعات معينة، أي بإسقاط مسبق، غير أنّ علينا أن نراجع إسقاطاتنا المسبقة باستمرار في ضوء ما يمثل هناك أماننا، وبإمكان كل مراجعة لإسقاط مسبق أن تصنع أماننا إسقاطا جديدا من المعنى، ومن الممكن أن تبرز الإسقاطات المتنافسة جنباً إلى جنب إلى أن تغدو وحدة المعنى أكثر وضوحاً... وهذه العملية الدائمة المستمرة من الألفاظ الجديدة هي حركة الفهم والتأويل⁽³⁾، ويدعو هيدجر إلى ضرورة إقامة حوار بين القارئ والنص من خلال عملية الإسقاط هذه، « وعلى المؤول لكي يبلغ أقصى فهم ممكن ألاّ ينخرط فحسب في الحوار مع النص، بل أن يفحص على نحو صريح منشأ المعنى المسبق الذي بداخله ومدى صحة هذا المعنى⁽⁴⁾».

وعليه فإنّ المؤول عندما يقرأ النص، فإنّه يراجع مرارا وتكرارا فهمه المسبق وحسه بموقفه الخاص قبالة النص باعتبار أنّ النص، « بنية رمزية قصدية، أفقه خاص، أي نطاق المعارف عن العالم التي كُتبت النصّ في ظلها، هذا الاختلاف في الآفاق سيكون محط اهتمام النظرية التأويلية الثقافية والتاريخية⁽¹⁾».

ففي الهرمنيوطيقا يلتقي أفق القارئ بأفق النص، « القارئ يقرأ بفهمه وبأطره المرجعية؛ ولكن ما يقرأه هو بناء له عناصره ودقائقه وعلاقاته التي تحكمها آفاق الزمن الذي كتب فيه، القراءة إذن موثوقة بالنص وتاريخيته؛ كل قراءة محض تأويل... دخول تاريخية القارئ في تاريخية النص، ليس هناك قراءة

1- ويرنجر جيزوند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، ص 65.

2- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 17.

3- المرجع نفسه، ص 17.

4- المرجع نفسه، ص 18.

1- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 19.

2- المرجع نفسه، ص 19.

دائمة؛ هناك فقط قراءة تاريخية، ليس هناك معنى دائم أو مثالي؛ هناك فقط معنى وجودي، أي المعنى يبرز خلال فهم القارئ التاريخي للنص التاريخي»⁽²⁾.

وانطلاقاً من كون العالم بطبيعته متغير، وأنّ النص يجسد أسلوب المؤلف في الكتابة عبر الزمن، ويُعدُّ « بصمته الشخصية، وختمه الفردي، فهمة الشعوري والأشعوري للعالم وتوجهه فيه، حيث يقول " فالديس valdis " في الهرمنيوطيقا الفينومينولوجية ودراسة الأدب؛ فإنّ النص يتكون من: الشكل والتاريخ وخبرة القراءة، والتأويل الذاتي للمؤول»⁽³⁾، ويحذر هيدجر من عواقب ونتائج الفهم المسبق للنص لدى بعض القراء، فيعبر عن ذلك بقوله: « رغم أنّ فهمنا المسبق، هو أداتنا وعدتنا للفهم، فنحن نصادر به ولا نريد أن نصهر أفاقنا بأفق النص، ولا نريد أن ندخل في حوار صادق مع النص، لا نريد أن نصغي إلى صوت الآخر، لا نريد أن نراجع اسقاطاتنا المسبقة في ضوء ما يبرز أمامنا في عملية القراءة، وبذلك نتصلب عند فهمنا المسبق، ولا نقرأ النص قراءة حقيقية، بل نخرس النص ونفرض عليه ما ليس فيه»⁽⁴⁾، وهكذا يفوتنا المغزى الحقيقي للنص، ورسالته وبلاغته، ويصرف النص وجهه الحقيقي عنا، ويكون القارئ بفهمه المسبق للنص غير جدير بأفق النص، ومعناه الأصلي ومقاصده، فهو قارئ يتصف بالتعصب في الحكم على النص، قبل أن يعقد حواراً جاداً وصادقاً مع النص، لأنّ المعنى الأصلي للنص خفي عن فكر القارئ قبل قراءته الحقيقية، وخفيه على وعي المفسر.

فالنص كيان مُعتم ويقوم بين « دنياوين ويقف جسراً بين عالمين، عالم غامض مستغلق معتم هو عالم النص، وعالم واضح المعالم محدد القسّمات كثيف الإضاءة مبذول المعنى هو عالمنا القائم الذي نعيش فيه ونألف ملامحه ونجول في كنفه»⁽¹⁾.

والشيء المثير في وصف هيدجر للتأويل يتمثل في "فهم معنى الوجود"، حيث يدخل التأويل « في حوار ودي وأساسي مع الجهود الكبرى السابقة لفهم معنى الوجود...إنّه إصغاء إلى النصوص، فالرسالة التي يتعين على المرء أن يؤولها هي في حقيقة الأمر مذاهب أسلافه وتفكيرهم، كما هو متجسد في النصوص الكبرى، " أن توجد " من الوجهة التأويلية ككائن إنساني هو أن توجد بين النصوص، أن تساهم في سلسلة التأويل»⁽²⁾، حيث يريد هيدجر من خلال كلامه هذا أن يفرض المفسر وجوده وتظهر شخصيته أثناء عملية التأويل، وأكثر من ذلك وأن يتأمل النصوص بحب فقيه اللغة للألفاظ، وأن يعطي كل لفظة في كل موضع وزنها الكامل، هذا الوزن الذي يكون في الأغلب الأعم خفياً مستورا، « فإذا تعين على المرء أن

3 - المرجع نفسه، ص 20.

4 - المرجع نفسه، ص 22.

4 - المرجع نفسه، ص 22.

1 - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 28.

2 - المرجع نفسه، ص 29.

يبحث عن الثقل الخفي للألفاظ القديمة، فلكي يمضي فيما وراء الوضوح الذاتي في التفكير الحديث، هذا الإصغاء الخاص والشديد الذي يدعو إليه هيدجر هو أمر ضروري من أجل الانفلات من حدود النظرة الحديثة للعالم، فالهرمنيوطيقا هي ذلك المجال المعني بفك رموز الأقوال التي تنتهي إلى أزمنة وأمكنة ولغات أخرى، دون أن يفرض عليها المرء مقولاته هو أو تصنيفه وتفكيره المسبق المتعصب⁽¹⁾ على الناقد أن لا يتسلط على النص، بل يستسلم في قراءة أكثر عمقا وتأويلا.

وبذلك فإنّ هيدجر يريد للهرمنيوطيقا، « أن تكون رسالة جليلة تزعزع أسس الفكر، لا يريد غير تأويل يتخطى التصورات السائدة، تأويل يقوم بـ " تحويل الفكر "، فالهرمنيوطيقا، أو منهج التأويل قد صُمّم خصيصا لكي يمكّن النص من أن يُؤتى كنز»⁽²⁾، وعلى القارئ أن يوظف مكتسباته للبحث عن هذا الكنز.

وتقوم الهرمنيوطيقا عند هيدجر على الاتجاهات الثلاثة للفعل يؤول في اليونانية وهي:

1- يعبر بصوت عال في كلمات أي؛ " يقول " أو " يتلو ".

2- يشرح؛ كما في حالة شرح موقف من المواقف.

3- يترجم؛ كما في حالة ترجمة لغة أجنبية.

ولا بد أن تحضر هذه الحالات الثلاث جميعا في العملية الهرمنيوطيقية أي؛ أثناء فهم النص، لأنّه « ثمة شيء بحاجة إلى العرض أو الشرح أو الترجمة يصبح، بطريقة ما معقولا ومستوعبا، ثمة شيء ما قد تم تأويله»⁽³⁾، فحين نقوم بتطبيق الاتجاه الأول من الاتجاهات الثلاث التي تقوم عليها هرمنيوطيقا هيدجر، وهو القول بصوت عال، فمثلا حين يلتفت المفسر في الأدب « إلى القصيدة ولسان حاله يقول: « هذه قصيدة، ولسوف أفهمها بأن أفعل كذا وكذا، يكون في حقيقية الأمر، قد أتم مهمته، وبالتالي يكون قد شكل معنى الموضوع...فالتفسير ينبغي أن ننظر إليه داخل سياق تأويل أكثر بداءة»⁽⁴⁾، ومنه فالتفسير الذي قام به المفسر في الأدب من خلال هذا المثال، أقل وضوحا وأقل واقعية، وعلى الرغم من ذلك فإنّ التأويل الشفهي هو الشيء الذي نفعله جميعا عندما نقرأ نصا ونبحث عن خفايا معانيه.

- الهرمنيوطيقا بوصفها الدزايين والفهم الوجودي عند هيدجر:

في تناوله لمشكلة الأنطولوجية (طبيعة الوجود في العالم)، « التفت مارتن هيدجر (1976م- 1889م) إلى المنهج الفينومينولوجي لأستاذه إدموند هسرل E.Husserl، وقدم دراسة

1 - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص31.

2 - المرجع نفسه، ص30.

3 - المرجع نفسه، ص35.

4 - المرجع نفسه، ص48.

فينومينولوجية للوجود اليومي للإنسان في العالم، ضمنها كتابه " الوجود والزمان " (1927م) Being and time، الذي يُعدُّ اليوم تحفته الكبرى والمفتاح الحقيقي لفهم فكره الفلسفي، وقد أطلق هيدجر على التحليل الذي قدمه في الوجود والزمان اسم هرمنيوطيقا الدزايين⁽¹⁾، وهذه الهرمنيوطيقا لا تُعنى بتأويل النصوص، وإنما تُعنى بتبيان فينومينولوجي للوجود الانساني ذاته، حيث يشير هيدجر في هذا السياق إلى أنّ « الفهم والتأويل هما طريقتان أو أسلوبان لوجود الإنسان، ليس الفهم شيئا يفعله الإنسان بل هو شيء يكونه »⁽²⁾ ، وبذلك يعمّق هيدجر مفهوم الهرمنيوطيقا في الوجود والزمان، ثم جاء تلميذ هانز جيورج جادامير (Hans Georg Gadamer)، وقام بتطوير مضمون الهرمنيوطيقا الهيدجرية، فربطها بعلم الجمال وبفلسفة الفهم والتاريخ.

- أوجه الاختلاف بين فلسفة هسرل وهيدجر:

- 1- يكمن الإختلاف بينهما، في كون هسرل ردّ كلّ الظواهر إلى الوعي الإنساني أي؛ إلى الذات المتعالية (الترانسندنتالية)، أما هيدجر، فقد آمن بأنّ حقيقة الوجود سابقة على الوعي والمعرفة الإنسانية.
- 2- ويظهر الفرق بينهما أكثر وضوحا في كلمة هرمنيوطيقا نفسها، حيث لم يسبق لهسرل أن استخدم هذه اللفظة في بحثه.
- بينما صرّح هيدجر في كتابه الوجود والزمان « بأنّ الأبعاد الأصلية لأيّ منهج فينومينولوجي تجعله هرمنيوطيقا بالضرورة، ولقد كان مشروعه في الوجود والزمان هو تأويل للدزايين الأنية of Hermeneutic dasein⁽¹⁾، والدزايين Dasein تعبير ألماني يعني "الوجود هنا" ، وقد استخدمه هيدجر للتعبير عن الوجود الإنساني، إنّ اختيار هيدجر لكلمة هرمنيوطيقا ليميز عن فينومينولوجيا هسرل.
- 3- ومن الفروق أيضا بين فلسفة هسرل وهيدجر، نجد أنّ هسرل انطلق في عمله الفلسفي من تنشئته العلمية الرياضية، أمّا هيدجر فقد انطلق عن التنشئة اللاهوتية.

- أسس فلسفة هيدجر في الهرمنيوطيقا:

- 1- لقد كان هيدجر يستخدم لفظة هرمنيوطيقا في إطار بحثه عن أنطولوجيا العمل (طبيعة الوجود الانساني في العالم).
- 2- شرع هيدجر في البحث عن منهج هرمنيوطيقي يتجاوز التصورات الغربية القديمة عن الوجود.

1 - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 75.

2 - المرجع نفسه، ص 75.

1 - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 215، 216.

3- ووجد في فينومينولوجيا أستاذه إدموند هسرل، أدوات تصورية لم تكن متاحة لدى سابقه، ومنهجا يكمن في إلقاء الضوء على كينونة الوجود الإنساني.

4- الفهم عند هيدجر هو شكل من أشكال الوجود في العالم، وهو الأساس لكل تفسير، وقائم في كل فعل من أفعال التأويل.

5- ويضرب هيدجر مثالا عن الدزايين الآنية، من خلال تحليل علامات المرور أو لافتات الطّرق.

فهذه العلامات توضح « النسق الكلي للأداة توضحها تماما، فعلامة المرور مثلا توضح النسق الكلي الذي يربط سلوك المارة وراكبي السيارات وعساكر المرور...، فإذا كانت الأداة العادية (كالقلم مثلا) غير لافتة للأنظار نتيجة انصراف الكاتب مثلا إلى الغرض الذي يستخدم القلم من أجله لا إلى طبيعة هذا القلم كأداة، فإنّ أداة العلامه على العكس من ذلك تشدّ الانتباه، إلى طابع الإحالة الذي توضحه أشدّ التوضيح»⁽¹⁾ فالعلامة المحددة تحيل إلى المحيط الذي تنتهي إليه، وتيسر الانفتاح عليه، خاصة إذا كانت صالحة وقابلة للاستخدام، لأنّ العلامه تجسد هذا الاستخدام وتوضح السياق الكلي الذي توجد فيه العلامه، « وهذا بدوره يحيلنا إلى الآنية، لأنّ حال الأداة، يُعبر عمّا تريده لها الآنية أو تريد بها أي؛ أنّ الغرض الذي جُعِلت له الأداة أصلا هو إرادة آنية بها»⁽²⁾.

- تمظر الهرمنيوطيقا في تأويل النص الأدبي:

لقد انصبّ اهتمام هيدجر في الهرمنيوطيقا حول تأويل الوجود الإنساني، ثم صار التأويل بمعنى الاهتمام بتأويل النصوص وبخاصة النصوص القديمة كالشعر مثلا، وتعدّ بذلك الهرمنيوطيقا أكثر فاعلية في التأويل الأدبي أو النصي، «وتكون أكثر قبولا في تأويل القصائد»⁽³⁾، فلقد كان هيدجر مولعا بكتابة الشعر، «فشعره رعوي، شعر منبعث من عالم مرتبط بالطبيعة»⁽⁴⁾ وهذه بعض المقاطع من شعر هيدجر حيث يصف عالم الفلاحة:

" خلل صدغ في سماء ملبدة بغيوم ممطرة

فجأة تنساب أشعة الشمس

لتحتضن المروج المعتمة

ومرة أخرى

1 - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص229.

2 - المرجع نفسه، ص230.

3 - عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص33.

4 - المرجع نفسه، ص34.

أو حين يعلن الغدير الجبلي

في سكون الليل عن هديره

مندفعا فوق الصخور

أو حين تتأرجح أجراس البقر

منحدرة نحو الوادي

حيث تمهادى القطعان⁽¹⁾

كما قام هيدجر بتأويل لوحة الرسام الهولندي فان كوخ التي تحمل صورة " زوج من أحذية القرويين"، بواسطة آلية التصاحب والملاءمة حيث ربط منفعة الأحذية بمصاحبة الذات لها لتؤدي منفعة في العمل الفلاحي، هكذا كانت قراءة هيدجر للوحة الفنان فان كوخ.

وقد حظي النص الأدبي باهتمام المقاربة الهرمنيوطيقية لفهمه وتأويله، وكان لهيدجر نظرة خاصة في فهم النص وتأويله، فالتفكير الهرمنيوطيقي الحق في تعريف هيدجر، ليس تناولا ولا تلاعبا بما تم انكشافه، بل كشفا لما خفي واحتجب، وعند إسقاط ذلك على الأدب، نجد أنّ النص الذي يقوله شاعر ينضوي دائما على الكثير من الأشياء التي تظل محتجبة غير مقولة، «ومن ثم فإنّ الحوار الفكري مع النص من شأنه أن يثمر مزيدا من الكشف ويؤدي إلى مزيد من الإفضاء، فيسعى هذا عملا وتأويليا، لإزالة الحدود بين المحتجب والمنكشف»⁽¹⁾، وقد عرّف الهرمنيوطيقا على أنها التعامل مع اللحظة التي ينبجج فيها المعنى، ومن أمثلة ذلك «يقوم هيدجر بشرح "أنشودة في الإنسان" من مسرحية "أنتيجونا" لسوفوكليس، في محاولة منه للتعرف على التصور الإغريقي الأول عن الإنسان، كما تعبر عنه القصيدة»⁽²⁾، ويقع تأويل هيدجر في ثلاث مراحل، في كل مرحلة ينظر إلى القصيدة كلها من زاوية مختلفة، حيث يقول هيدجر «في المرحلة الأولى نقدّم المعنى الباطن للقصيدة، ذلك المعنى الذي يمسك صرح الألفاظ ويحفظه ويعلو فوقه، وفي المرحلة الثانية سوف نتفقد التتابع الكامل لل فقرات الشعرية وورودها، ونحدد المنطقة التي تكشفها القصيدة وتضيئها، وفي المرحلة الثالثة نحاول أن نتخذ موقفنا في مركز القصيدة، لهذا الخطاب الشعري»⁽³⁾، أي؛ نلحظ بتمعن ونتخطى القصيدة إلى ما لم نقله القصيدة، وبذلك فإنّ تأويل هيدجر للنص الشعري انطلاقا من هذه المراحل الثلاث، لا يبتغي منهجا شكليا، لأنّ الشكلية لا تتوافق مع

1 - عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص 213-214.

1 - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 251.

2 - المرجع نفسه، ص 262.

3 - المرجع نفسه، ص 262.

مقاصده، ولا مع السؤال الذي يطرحه، «وغيابة الشرح عنده هو تحديد الموضوع الذي تتحدث عنه القصيدة، موضع تلك المساحة من الوجود التي تضيئها الفقرة الشعرية»⁽⁴⁾.

فالعامل التأويلي لا يقف عند قناعة القارئ بما تقوله القصيدة بصورة مباشرة، ولو حصل ذلك، ليبلى التفسير أو التأويل نهايته، وتوقف عند المرحلة الثانية من المراحل التي أشار إليها هيدجر، فالتأويل الحق في هرمنيوطيقا هيدجر، «يجب أن يكشف ما لا يمثل في الألفاظ، ولكته يُشار إليه رغم ذلك، (ما يُقال دون أن يُلفظ)»⁽¹⁾، وعلى المؤول أن يحقق ذلك بالقراءة المعمقة، ليكشف عن المعنى غير المصرح به في النص، فالعملية التأويلية في جوهرها تتمثل في تسليط الضوء على المعنى المضمّر لا الصريح، الباطن لا الظاهر في النصوص الأدبية.

- الخاتمة:

لقد كان إسهام نظرية التأويل عند هيدجر متعدد الجوانب، في الوجود والزمان والمكان، ومهد الطريق لكل عملية تأويلية جاءت من بعده، لا سيما تلميذه جادامير، كما استفادت بعض العلوم من استعمال الهرمنيوطيقا في تأويل النصوص الأدبية، وعلى رأسها الفيلولوجيا (علم فقه اللغة)، كما أنّ الهرمنيوطيقا (التأويلية) عند هيدجر لا تتنافى ولا تتعارض مع النقد الجديد، حيث تصبو الهرمنيوطيقا إلى العناية بالوجود الخاص للنص نفسه، وحمايته من عبث القارئ، أو تسلط الناقد، أو التّقول عليه (السفسطة والهرطقة)، بل تهدف إلى قراءة أكثر كفاءة للنص لاستجلاء كنهه، قراءة معمّقة للنص تسمح بأن يوجد مرة ثانية، فيتألق المعنى الحقيقي ويضيء من خلال التفاعل المتبادل بين القارئ والنص.

⁴ - المرجع نفسه، ص 263.

¹ - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 264.

- 1- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص27.
- 2- المرجع نفسه، ص28.
- 3- المرجع نفسه، ص32.
- 4- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص19.
- 5- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص12.
- 6- ويرنج جينروند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد: 59-60، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 1435 هـ/ 2014 م، ص66.
- 7- المرجع نفسه، ص66.
- 8- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص19.
- 9- ويرنج جينروند: تطور الهرمنيوطيقا اللاهوتية، من البدايات إلى عصر التنوير، ص65.
- 10- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص17.
- 11- المرجع نفسه، ص17.
- 12- المرجع نفسه، ص18.
- 13- المرجع نفسه، ص19.
- 14- المرجع نفسه، ص19.
- 15- المرجع نفسه، ص20.
- 16- المرجع نفسه، ص22.
- 17- المرجع نفسه، ص28.
- 18- المرجع نفسه، ص29.
- 19- المرجع نفسه، ص30.
- 20- المرجع نفسه، ص31.
- 21- المرجع نفسه، ص35.
- 22- المرجع نفسه، ص48.
- 23- المرجع نفسه، ص75.
- 24- المرجع نفسه، ص75.
- 25- المرجع نفسه، ص215، ص216.
- 26- المرجع نفسه، ص229.

- ²⁷- المرجع نفسه، ص 230.
- ²⁸- عمار ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص 33.
- ²⁹- المرجع نفسه، ص 34.
- ³⁰- المرجع نفسه، ص 213-214.
- ³¹- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، ص 251.
- ³²- المرجع نفسه، ص 262.
- ³³- المرجع نفسه، ص 262.
- ³⁴- المرجع نفسه، ص 263.
- ³⁵- المرجع نفسه، ص 264.